طرائف ونوادر من التراث

إسماعيل القيام *

أعمى القلب

• قال بعضهم: خرجتُ في الليل لحاجة، فإذا أنا بأعمى على عاتقه جرّةٌ وفي يده سِراج، فلم يزل يمشي حتى أتى نهراً فملأ الجرة ورجع. فقلت له: أنت أعمى، والليلُ والنهارُ عليك سواء، فما معنى هذا السراج؟! فقال: يا فضوليّ، حملته معي لأعمى القلب مثلك يستضيء به ولا يعثر بي في الظُّلمة فيقع عليّ ويكسر جرّتي.

أخطاء لغويّة

• كلّم أبو موسى بعضَ قادته فأخطأ في اللغة، فقال: لِمَ لا تنظر في العربية؟ فقال: بلغني أنّ من نظر فيها قلّ كلامُه، فقال: ويحك! لأنْ يقلَّ كلامك بالصواب خيرٌ لك من أن يكثر كلامك بالخطأ.

إصلاح ذات البين

• قال محمّد بن الفضل للعُتبيّ: كنتُ عند أبي فتهدّم عليّ تهدُّمَ الحائط من شدّة الغضب، فتركته حتى سكن غبارُه، وهدأ غضبُه، ثم جعلت أتأتّى له وأحاول إرضاءه. فادخُلْ بيني وبينه حتى يرضى عنّي. فقال العُتبيّ: إنّي لأكره أن أدخل بين الرجل وبين أبيه. فقال له محمّد: هذه سقطةٌ قد كنت آمنها عليك، إنّك لَتدخلُ بين الرجل وبين ربّه فتقول له: كُلْ كذا، واصنعْ كذا، ودعْ كذا. فقال العُتبيّ: يا غلامُ أسرِجْ لي، لأذهب إلى أبيه. فقال محمّد: لا حاجةَ لي في ركوبك، من كانت هذه سقطته عند الأبناء فكيف يكون تهوّره عند الآباء؟

ابناك كعينيك

• حكى أبو الحسن محمد بن جعفر بن البصري عن أبيه أنه جاور ببغداد في أيام المقتدر رجلاً من جِلّة الكُتّاب، ونشأ له وَلدانِ فتنا بغدادَ بحسنهما، فبلغ الأكبرُ منهما، فنقله من المكتب إلى الديوان، وأراد أن يحصّنه بجارية فابتاعها له بألف دينار، وقال: لا تُعلم أخاك فإنّه يصغر عن ذلك، فنَمَت دايةُ الأصغر الأمرَ إليه، وقالت: إنّ أباك خصَّ أخاك بشيءٍ دونك، فقال لها: بمَ خصّه؟ قالت: بجارية. قال: هو إليها أحوجُ وأنا عنها أغنى، غيرَ أنّي أُشفقُ أن يتّسع الخرق، وما علمت أنّه فضُل مذ نشأ عليّ بشيء، وأنا أجلُّه عن المشافهة، ولكن هاتِ دواة، فكتب إليه:

ليس لي بعد إلهي	مُشتكًى إلاّ إليكا
وأخي في الفضل مثلي	وكلانا في يديكا
لا تُفضّلْهُ عليّ	بالحَبَا من ناظريكا
إنّما ابناك كعينيـ	ـك فداوي مُقلتيكا
إنْ أذقت العينَ كحلاً	هاجت الأخرى عليكا

فابتاع له جارية بثمن جارية أخيه وأرسلها إليه.

---

* جامعة فيلادلفيا – الأردن

عقـوق

• قال أبو العيناء: أنا أوّل من أظهر العقوقَ بالبصرة لوالديه. قال أبي: إنّ الله قد قرنَ طاعته بطاعتي؛ فقال: «اشكر لي ولوالديك». فقلت: يا أبتِ؛ إن الله أمِنَني عليك ولم يأمنْك علَيّ. فقال: «ولا تقتلوا أولادكم خشيةَ إمْلاَق نحن نرزقكم وإيّاهم».

• قال أعرابي لأبيه: يا أبتِ، إنّ كبير حقك علَيّ لا يُبطل صغيرَ حقّي عليك، والذي تَـمُتُّ به إليَّ أمَتُّ بمثله، ولست أزعمُ أنّا سواء، ولكن لا يحلُّ الاعتداء.

دروس في الفِـراسة

• قال بعض الأذكياء:

- إذا رأيت رجلاً من صلاة الغداة على بابِ دارِه وهو يقولُ: (وما عند الله خير وأبقى) فاعلم أنّ في جِوارِه وليمةً لم يُدعَ إليها.

- وإذا رأيت قوماً يخرجون من مجلس القاضي وهم يقولون: (وما شهدنا إلا بما علمنا) فاعلم أن شهادتهم لم تُقبلْ.

- وإذا تزوج الرجل فسُئِل عن حاله، فقال: (ما رغبنا إلا في الصلاح) فاعلم أن زوجته ليست بذات جَمال.

عِـشق

• كان محمد بن الحجاج راويةً لبشّار بنِ بُرد، فقال: قال بشّار ذاتَ يومٍ، وكان مات له حمارٌ قبل ذلك: رأيتُ حماري البارحةَ في النّوم، فقلتُ له: ويلك ما لك متّ؟ قال: إنّك ركِبتني يومَ كذا وكذا فمرَرْنا على بابِ الأصبهاني، فرأيتُ أتانًا عند بابه، فعشقتُها فمتّ. وأنشدني:

سيّدي مِلْ بعِناني ... نحو بابِ الأصبهاني
تيّمتني يومَ رُحْنا ... بثناياها الحِسان
وبغُنُجٍ ودلالٍ ... سلّ جسمي وبراني
ولها خدٌّ أسيلٌ ... مثلُ خدِّ الشّيقرانِ
فبها متّ ولو عِش ... تُ إذاً طالَ هواني

فقال له رجلٌ من القوم: يا أبا معاذ، ما الشّيقران؟ قال: هذا من غريب الحمير، فإذا لقيتم حماراً فسلوه عنه.

وصفة تجمـيل

• جاء عسكرُ الحجّاجِ إليه بصندوقٍ مُقفل قالوا إنّهم وجدوه في بعض خزائن كِسرى، فأمر الحجّاجُ بالقفل فكُسِر فإذا فيه صندوقٌ آخرُ مُقفل، فتوقّف الحجّاج وقال في نفسه: ما عسى أن يكون فيه إلا حماقة من حماقات العجم! ثمّ قال للقوم: من يشتري منّي هذا الصندوق بما فيه ولا أدري ما فيه؟ فتزايد به جُلَساؤه، حتّى بلغ خمسةَ آلاف دينار، فأنفذ الحجّاجُ البيعَ، وعجِل المشتري إلى فتح الصندوق طمعًا بما فيه، ففتحه بين يدي القوم فإذا فيه رقعةٌ مكتوبٌ عليها: (من أراد أن تَطولَ لِحيتُه فليمشُطْها من أسفل).

إيـثـار

• قيل إنّه احترق مسجدٌ بمصر، فظنّ المسلمون أنّ النصارى أحرقوه، فحرقوا خاناً لهم، فقبض السلطان جماعةً من الذين أحرقوا الخان، فكتب كلمات (القتل، والقطع، والجلد) في أوراق، ثمّ نثرها عليهم، وقال: من وقعت له ورقةٌ فُعل به ما فيها، فوقعت ورقةٌ فيها القتلُ بيد رجلٍ فقال: ما كنت أبالي لولا أمٌّ لي، وكان بجانبه بعضُ الفِتيان، فقال: في ورقتي الجَلْد، وليس لي أمّ، فادفع إليّ ورقتك وخُذ ورقتي ففعلا، فقُتل ذلك وجُلد هذا.

طـبّ

• مر طبيب بابن عبد الواسع المازنيّ، فشكا إليه ريحاً في بطنه، فقال: خذ صعتراً، فقال: يا غلام، الدواةَ والقرطاس لأكتب، ثمّ قال: أصلحك الله، ما أكتب؟ فقال الطّبيب: خذ كفَّ صعتر وعُلبةَ شعير، فقال المازنيّ: لكنّك لم تذكر الشعير أولاً، فقال: لأنّي ما علمتُ أنّك حمارٌ إلا السّاعة.